أمارات النبوّة في «الكتب السماوية»

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله

ورد في الآية ١٥٧ من سورة الأعراف، قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ..﴾.

وفي مستهلّ الآية أخذت كلمة «يتّبعون» موضع «يؤمنون»، وهذا من أحسن التعبير، لأنّ الإيمان بآيات الله سبحانه، كأنبيائه وشرائعهم، إنّما هو بالتسليم والطاعة، فاختير لفظ الاتّباع للدلالة على أنّ الإيمان بمعنى الاعتقاد المجرّد لا يُغني شيئاً، فإنّ ترْك التسليم والطاعة عملاً تكذيبٌ بآيات الله، وإنْ كان هناك اعتقادٌ بأنّه حقّ.

وقد ذَكرَ الله تعالى النبيّ صلّى الله عليه وآله بهذه الأوصاف الثلاثة: الرسول، والنبيّ، والأمّي، ولم تجتمع هذه الثلاثة في موضعٍ من كلامه عزّ وجلّ إلّا في هذه الآية والآية التالية (الأعراف:١٥٨)، مع قوله تعالى بعده: ﴿.. ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ..﴾، تدلّ على أنّه صلّى الله عليه وآله كان مذكوراً فيهما معرَّفاً بهذه الأوصاف الثلاثة.

ولولا أنّ الغرض من توصيفه بهذه الثلاثة هو تعريفه بما كانوا يعرفونه به من النعوت المذكورة له في كتابَيهم (التوراة والإنجيل)، لما كانت لذكر الثلاثة: ﴿..ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ..﴾ وخاصة الصفة الثالثة، نكتة ظاهرة.

ويدلّ ظاهر الآية أو يُشعِر بأنّ قوله تعالى: ﴿..يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ..﴾ إلى آخر الأمور الخمسة التي وصفه صلّى الله عليه وآله، بها في الآية، من علائمه المذكورة في الكتابَين، وهي مع ذلك من مختصّات النبيّ صلّى الله عليه وآله وملّته البيضاء؛ فإنّ الأمم الصالحة، وإن كانوا يقومون بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلّا أنّه لا يرتاب ذو ريب في أنّ الدِّين الذي جاء به محمّدٌ صلّى الله عليه وآله، هو الدين الوحيد الذي نفخ في جثمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلّ ما يسعه من روح الحياة، وبلغ به من حدّ الدعوة الخالية إلى درجة الجهاد في سبيل الله بالأموال والنفوس، وهو الدِّين الوحيد الذي أحصى جميع ما تتعلّق به حياة الإنسان من الشؤون والأعمال ثمّ قسّمها إلى طيّبات فأحلّها، وإلى خبائث فحرّمها، ولا يعادله في تفصيل القوانين المشرعة أي شريعة دينية وقانون اجتماعي.

على أنّ كمال هذه الأمور الخمسة في هذه الملّة البيضاء أصدقُ شاهد وأبيَن بيّنة على صِدق الناهض بدعوتها صلّى الله عليه وآله، فإنّ شريعته كمال شريعة الكليم والمسيح عليهما السلام، **وهل يطلب من شريعةٍ حقّة إلّا عرفانها المعروف وإنكارها المنكر، وتحليلها الطيبات، وتحريمها الخبائث، وإلغاؤها كلّ إصرٍ وغلٍّ؟ وهي تفاصيل الحقّ الذي تدعو إليه الشرائع الإلهية، فليعترف أهل التوراة والإنجيل أنّ الشريعة التي تتضمّن كمال هذه الأمور بتفاصيلها هي عينُ شريعتهم في مرحلةٍ كاملة.**

وبهذا البيان يظهر أن قوله تعالى: ﴿..يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ..﴾ الآية، يفيد بمجموعه معنى تصديقه لما في كتابيَهم من شرائع الله تعالى.

(تفسير الميزان: ٨/ ٢٧٩-٢٨١، مختصر)